

أثر السّیاق اللّغوي في التّحليل النحويّ عند الأخفش

دراسة في ضوء كتاب معاني القرآن

**Al-Ahfash'ın gramer analizinde dilbilimsel bağlamın etkisi**

**“Kur'an-ı Kerim'in Anlamları” kitabı ışığında bir inceleme**

صالح محمد ناصر

طالب دراسات عليا في معهد اللغات الحية في جامعة ماردين أرتكلو- تركيا

**Salih Muhammed NASİR**

Mardin Artuklu Üniversitesi

Türkiye, de Yaşayan Diller Enstitüsü

Arap Dili Ve Kültürü

Email: [s86.naser@gmail.com](mailto:s86.naser@gmail.com)

<https://www.orcid.org/0000-0003-2370-9330>

## الملخص

بُني هذا البحث على دراسة ظاهرة لغوية أثّرت في توسيع دائرة الدلالة اللغوية للنص القرآني، وهي ظاهرة السياق وأثره في توجيه الإعراب، وقد اتّكأت في توضيح هذه الظاهرة على طرائق عدّة من طرق التحليل النحوي، إذ كشفت اللثام عن دور السياق اللغوي في فهم النص عند الأخفش، واختيار التوجيه الملائم ضمن ضوابط منسجمة مع التحليل النحوي.

وتطرق الباحث في هذا البحث إلى الكشف عن دور السياق في تحليل أنماط العبارات نحويًا عند الأخفش، لإيضاح فحوى هذه العبارات، ومعرفة تأثير المكونات الأساسية للسياق اللغوي على النص، وأثر التحليل النحوي والقوانين الإعرابية في إضفاء الطابع الدلالي على التركيب السياقي. **الكلمات المفتاحية:** السياق، السياق اللغوي، التحليل، القرائن، معاني القرآن، الأخفش.

## ÖZET

Bu araştırma, bağlam olgusu olan Kur'an metninin dilsel anlam çemberinin genişlemesini etkileyen dilsel bir olgunun ve yol gösterici sentaksa etkisinin incelenmesine dayanmaktadır. Al-Ahfaş metnini anlamada dilbilimsel bağlamın rolünü ortaya koyduğu ve gramer analiziyle tutarlı kontroller dahilinde uygun yönü seçme konusunda çeşitli gramer analizi yöntemleri.

Bu araştırmamda AL-Ahfeş'in tamlamalarının gramer kalıplarının tahlilinde bağlamın rolünün ortaya çıkarılması, bu ifadelerin muhtevasının açıklığa kavuşturulması ve dilsel bağlamın temel unsurlarının metin üzerindeki etkisinin bilinmesi ve bağlamsal yapıya anlamsal bir karakter kazandırmada gramer analizinin ve sözdizimsel yasaların etkisi.

**Anahtar Kelimeler:** Bağlam, Dilsel Bağlam, Analiz, Ipuçları, Kur'an'ın Anlamları, Al-Ahfaş.

## المقدمة

تتفاوت الرؤية السياقية بين المعربين عند تعرضهم لتحليل النص القرآني أو غيره من النصوص اللغوية، فالسياق لم يظهر صراحةً عند القدماء، بل كان عبارةً عن إشاراتٍ ولمحاتٍ، يتباين أثرها بين المعربين وكيفية استخدامهم للسياق.

وقد اعتمد المعربون على القرائن السياقية التي كانت حاضرةً في أثناء عملية التحليل النحوي للنص القرآني، مما منح معربي القرآن فسحةً واسعةً في تعدد التوجيه الإعرابي والترجيح.

وانطلاقاً مما سبق رأينا أن نتناول موضوع أثر السياق اللغوي عند أحد النحاة اللغويين وهو الأخفش، وذلك في أثناء تحليله للنص القرآني نحويًا من خلال كتابه معاني القرآن.

## أهداف البحث

ويهدف بحثنا من وراء ذلك إلى الكشف عن أثر السياق اللغوي في توجيه الإعراب عند الأخفش، والكشف عن عنايته بالسياق اللغوي، ومدى التزامه بالقرائن السياقية التي تناولها في أثناء تحليله للنص القرآني، وما للسياق اللغوي من دورٍ في توجيه الإعراب وتحديد المعنى.

## منهجية البحث

استخدم الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي، إذ وظّف التحليل والاستنباط في تحليل النص القرآني، واعتمد على القرائن السياقية في أثناء التحليل النحوي لكتاب معاني القرآن للأخفش.

## المطلب الأول: مقدمات نظرية وتعريفات

سنقف فيها على النقاط التالية: السياق اللغوي، والتحليل النحوي، والتعريف بكتاب معاني القرآن ومؤلفه.

### 1. السياق اللغوي

سنتناول فيها نقطتين هما: المفهوم والقرائن.

#### 1.1 المفهوم

سنتناول مفهوم السياق اللغوي، لغةً واصطلاحًا.

##### أ. السياق اللغوي لغةً

## – السياق لغةً

ورد لفظ السياق في اللغة العربية من الجذر الثلاثي سَوَقَ (س وق)، ويقصد به حدو الشيء. وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوفاً إذا تتابعت، وكذلك تفاودت فهي متفاودة ومتساوقة<sup>1</sup> وهذا ما اتفق عليه معظم اللغويين من أن الإبل إذا ساقها راعيها تتابع واحدة تلو الأخرى.

وفي المختار: (السياق) نزغ الرُّوح<sup>2</sup>.

## – اللغوي لغةً

اللغة: أصلها لغى أو لغو، وجمعها (لَغَى) مثل برة وبرى و (لغات) أيضاً. وقال بعضهم: سمعت لغائهم بفتح اللام شبيهاً بالتاء التي يوقف عليها بالهاء. والنسبة إليها (لَغَوِي) ولا تقل: لَغَوِي<sup>3</sup>. ويقال منه لغا يلغو لغوا. وذلك في لغو الأيمان<sup>4</sup>.

## ب. السياق اللغوي اصطلاحاً

لا بدّ من تحديد مفهوم السياق في الاصطلاح قبل الحديث عن مفهوم السياق اللغوي، ففي القرن الثاني الهجري بَوَّب الإمام الشافعيّ باباً في رسالته يسميه: "الصَّنَف الذي يبين سياقه معناه"<sup>5</sup>، ثم يردف أمثلة لهذا الباب في بيان دلالة السياق على المعنى. وقد اختلفوا على تعريفه، فذكر الباحثون أن المتقدمين لم ينصّوا على تعريفه اصطلاحاً، وإنّما ذكروا أهميته وتعرضوا للمقام والحال.

وقد خلص الدكتور ردة الله الطلحي إلى تحديد مفهوم السياق لدى القدماء في ثلاث دلالات: "الأولى: أن السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي عبّر بلفظ السياق عنها، وكان استعمالها بهذا منضبطاً عند الأصوليين. الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، وأوضح ما عبّر به عن هذا المفهوم لفظاً الحال والمقام.

<sup>1</sup> جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط3، (دار صادر، بيروت 1414هـ)، مادة "سوق"، 166/10؛ وينظر، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، (دار الفكر، 1979/1399)، مادة "سوق"، 3/117.  
<sup>2</sup> أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، ط5، (المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420/1999)، مادة "سوق"، 157.  
<sup>3</sup> الرازي، مختار الصحاح، مادة "لغو"، 283.  
<sup>4</sup> ابن فارس، مقاييس اللغة، 5/255.  
<sup>5</sup> محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تح: أحمد محمد شاكر، ط1، (مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، 1938/1357)، 62/1.

الثالثة: أنّ السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي، الذي يمثل الكلام في موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام يمكن أن يضفي دلالة القدر منه (موضع التحليل)، أو يجعل منها وجهًا استدلالياً<sup>6</sup>.

فالسّياق اللّغوي يعدّ أحد الأنواع الرئيسة للسياق، وهو ما يتعلق بالمفردات والتراكيب داخل النص.

وهو كلّ ما يتعلق بالإطار الداخلي للغة، وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغوية الوظيفية، وهي تسبح في نطاق التركيب<sup>7</sup>، وهذه القرائن تتولى مهمة التعالق بين وظائف التركيب على مستوى اللفظ<sup>8</sup>.

## 1.2 القرائن

ويتفرع من السياق اللغوي عدة قرائن أهمها:

### أ. العلامة الإعرابية

تُستخدم علامة الإعراب لتحديد أدوار الكلمات في الجملة، ولها أثر مهم في توضيح المعنى، وتُعدّ من أوفر القرائن حظاً، ومحض اهتمام النحاة، إذ جعلوا الإعراب نظريةً كاملةً سموها (نظرية العامل)، وتكلّموا فيها عن الحركات ودلالاتها، والحروف ونيابتها عن الحركات، وتكلّموا في الإعراب الظاهر والمقدّر والمحل الإعرابي<sup>9</sup>، ويتّضح المعنى عند تحديد الإعراب، فالإعراب أصلٌ للمعنى، وعند النّحاة أنّ تصوّر المعنى تابعٌ لتصور الإعراب، فالمعنى يتعدّل تبعاً للإعراب ولا يتعدّل الإعراب تبعاً للمعنى<sup>10</sup>.

وذهب الزّركشي إلى عكس هذا "وعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسرارهِ، النّظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلّها، في كونها مبتدأً أو خبراً أو فاعلةً أو مفعولةً أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك، من تعريفٍ أو تنكيرٍ أو جمعٍ قلّةٍ أو كثرةٍ إلى غير ذلك، ويجب عليه مراعاة أمورٍ: أحدها: وهو أوّل واجبٍ عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعرّبه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب،

<sup>6</sup> ردة الله الطلحي، *دلالة السياق*، ط1، (أصل الكتاب أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكتبة ملك فهد الوطنية، 1424)، 50-51.

<sup>7</sup> عبد القادر عبد الجليل، *الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية*، ط1، (دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 1439/2018)، 213.

<sup>8</sup> خالد العدواني، *دراسات في النحو والدلالة*، تحرير: إسلام رشيد جانكير، (صون جاغ أكاديمي، أنقرة، 2021م)، 160.

<sup>9</sup> تمام حسان، *اللغة العربية معناها ومبناها*، (عالم الكتب، 2006/1427)، 205.

<sup>10</sup> محمد صلاح الدين بكر، *نظرة في قرينة الإعراب*، (حوليات كلية الآداب، الحولية، الخامسة، الرسالة، العشرون، 1404/1984)، 17.

فإنّه فرغ المعنى<sup>11</sup>، ورأى بعض المحدثين أنّ الإعراب في خدمة المعنى وليس المعنى في خدمة الإعراب<sup>12</sup>.

وأصحاب معاني القرآن كالأخفش وغيره، وجّهوا المعنى تبعاً للعلامة الإعرابية التي لها الصدى الواسع في عملية التحليل النحوي، وتوجيه الدلالة التركيبية بما ينسجم مع السياق العام للآية.

### ب. قرينة المطابقة

اعتمد النحاة على قرينة المطابقة في التحليل النحوي، إذ تؤدي القرينة دوراً في ترابط أجزاء الجملة، و"تقوي الصلة بين المتطابقين، وتتوثق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها، وبدونها تتفكك العرى، وتصبح الكلمات المتراسة منعزلة بعضها عن بعض ويصبح المعنى عسير المنال"<sup>13</sup>.

وهي "وسيلة ربط لغوية تقع بين فئة الكلمات المتصرفة (أفعال، صفات، أسماء)، عندما تدخل في علاقات نحوية بعضها مع بعض، وهي تُعدّ قرينة شكلية، يساهم بها النظام الصرفي للغة ما في بناء القوالب النحوية الخاصة بتلك اللغة نفسها، وقطعاً يؤدي وجودها إلى تحسين الكلام في السمع، بما يكسوه حلاوة ويكسبه استواءً ويؤدي إلى حراسة المعنى في الذهن، بما يبعده عن اللبس ويقربه من مقتضى الحال التي يورد فيها"<sup>14</sup>.

والمطابقة لها الدور البارز في تحقيق التماسك بين أجزاء التركيب؛ لتسهيل التحليل الإعرابي، وتحديد المعنى السياقي.

### ج. قرينة التنغيم

التنغيم هو الإطار الصوتي الذي تُقال به الجملة في السياق، والجمال العربية تقع في صيغ وموازين تنغيمية، هي هياكل من الأنساق النغمية ذات أشكال محددة، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض غير الهيكل التنغيمي لجملة الإثبات<sup>15</sup>.

والتنغيم يكون في كيفية نطق الجملة، فتتوزع الجملة بين إثبات واستفهام وتعجب ونداء وغيرها.

<sup>11</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، 1376/ 1957) 302/1.

<sup>12</sup> بكر، نظرة في قرينة الإعراب، 17.

<sup>13</sup> حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 213.

<sup>14</sup> عبد الحميد الأقطش، "الإسناد في لغة أكلوني البراغيث"، مجلة أبحاث البيرموك، "سلسلة الآداب واللغويات"، (بحث منشور، جامعة البيرموك، إربد، الأردن، مج. 153، عد. 2، 1995)، 380.

<sup>15</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 226.

وتنبّه العلماء إلى دور التّغيم في التّفريق بين الاستفهام والتّعجب، وقد ظهر ذلك في الرواية المشهورة عن أبي الأسود الدّولي، أن ابنة أبي الأسود الدّوليّ (69هـ) قالت له يوماً: يا أبت ما أحسن السماء؟ قال: أي بُنية، نجومها. قالت: إني لم أرد: أي شيء منها أحسن؟ إنما تعجبتُ من حسنِها. قال: إذاً فقولِي: ما أحسنَ السماء!16.

وهكذا يتبيّن أنّ النّعمة قرينةٌ أكيدةٌ على المعنى النّحوي، ولاسيما حين يتصل الأمرُ بالجمال التّأثيريّة المختصرة نحو: (يا سلام!)، أو (الله)، أو ما يتصل باللغة الانفعالية عامة17.

#### د. قرينة الرّبط

تننظم الكلمات فيما بينها لتشكل مجموعةً من العلاقات المترابطة بواسطة أدوات تربط بين أجزائها، وقد أدرك العلماء أهميّة الرّبط بين أجزاء الكلام، ودوره في التماسك النّصي.

وظيفة الرّبط إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق بواسطة إحدى الوسائل اللفظية، التي تعين على الوصول إلى هذه الغاية18، وبذلك يكون الرّبط: "اصطناع علاقاتٍ سياقيّة بين طرفين باستعمال أداة تدل على تلك العلاقة.

والغرض من الرّبط يكون أمن لبس فهم الارتباط بين الطرفين المربوطين، وقد يكون أمن لبس فهم الفصل بينهما"19.

وبين سيبويه أهمية الرابط وصلته بالتعليق وينقل جواب الخليل عن سؤاله عن الرّبط ب (إذا) الفجائية في قوله تعالى: (وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) (الروم 36/21)، فقال: "هذا كلام معلقٌ بالكلام الأوّل، كما كانت الفاء معلقةً بالكلام الأوّل"20.

وأدوات الرّبط كثيرةٌ في اللغة العربيّة، ومن أهمها الضّمير الذي "يُعتبر من الروابط الهامة في الجملة"21، ورتبة الضّمير من المرجع أن يتأخر عنه ويعود إليه، فقد يعود إلى أقرب مذكور، أو أبعد من ذلك، ويدلّ عليه السياق والصّناعة النّحوية، وقد يعود إلى ما تضمّنه معنى الكلام السّابق.

16 ينظر، السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: محمد إبراهيم البنا، (دار الاعتصام، 1405 / 1985)، 36.

17 أحمد قدور، مبادئ اللسانيات العامة، ط3، (دار الفكر، دمشق، 1429هـ، 2008م)، 294.

18 حسان، تمام، البيان في روائع القرآن، ط1 (عالم الكتب، القاهرة، 1413 / 1993)، 109.

19 مصطفى حميدة، أساليب العطف في القرآن الكريم، ط1، (مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان،

دار نوبار، القاهرة، 1999م)، 42.

20 سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1408 / 1988)، 64 / 3.

21 حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 238.



ويكون الرّبط في علاقة الإسناد، وعلاقة الإضافة، وعلاقة الملابس، وعلاقة التّوابع، وعلاقة الشرط، وعلاقة السببية وغيرها.

ويتبين أنّ وجود الرّابط في الجملة قرينة سياقية مهمة، تؤدي إلى تحديد المعنى، وإزالة اللبس، وترابط الكلمات والجمال في التركيب.

## 2. التحليل النحوي

ارتبط التحليل النحوي في الدراسات اللغوية بإزالة الإشكال عن الكلمة المراد إعرابها، وفكّ العقدة عن الوحدة الكلامية في التركيب النحوي، من تداخل بين الأوجه الإعرابية وحيرة في الترجيح، لذلك لا بدّ أن نبين مفهوم التحليل النحوي:

### 2.1 التحليل النحوي لغةً

– التحليل لغةً

توسعت دلالة التحليل وكثرت في الكلام، حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل<sup>22</sup>، وصار الحلّ وسيلة لفك التراكيب في النصّ وبيان الوحدات الدّاخلية فيه.

واستمر التطور الدّلالي للكلمة حتى انتشرت أبعاده في ميادين العلوم الإنسانيّة، ثم كان له نشاط في دراسة الظواهر العقليّة والحيوية، ثم دخل في حيز الدّراسات الفنيّة، كتّحليل النّصوص الأدبية، وتحليل النّصوص النّحوية<sup>23</sup>.

– النّحو لغةً

يذكر ابن جني في خصائصه أنّ النّحو هو "انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتشنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك"<sup>24</sup>.

ويذكر ابن منظور أنّ النّحو هو "إعراب الكلام العربي. ويُذكر أيضًا أنّ النّحو: القصد والطريق، يكون ظرفاً ويكون اسمًا، نحاه ينحوه وينحاه"<sup>25</sup>.

### 2.2 التحليل النحوي اصطلاحاً

<sup>22</sup> ابن فارس، مقاييس اللغة، 2/ 22.

<sup>23</sup> ينظر، قبّارة، التحليل النحوي أصوله وأدلته، (الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، دت)، 13.

<sup>24</sup> عثمان بن جني، الخصائص، ط4، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، دت)، 1/ 35.

<sup>25</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة "نحو"، 15/ 309.

تميّزُ العناصر اللفظية للعبارة، وتحديد صيغها ووظائفها، والعلاقات التركيبية بينها، بدلالة المقال والمقام، وتفرّق العناصر اللفظية الدلالية والتشكيلية المكونة للتركيب بعضها عن بعض معتمداً على أدلة المقام والمقال وظواهر الصوت والصورة والتكوين، لدراسة تلك العناصر في إطار السياق المحيط بها، وتحديد أنساقها وأنماطها وخصائصها ووظائفها، وما بينها من علاقاتٍ وتبادلٍ للمعاني الإعرابية والصرفية خاصةً والنحوية عامة، وما فيها من تبدل في اللفظ والصيغة والدلالة والوظيفة، بُغية كشف صورة النظام الذي يسودها، والوظائف التي تقوم بها والدلالات التي تؤديها متعاونة في حيّز التركيب الصرفي، والتركيب الإعرابي، والسياق العام للتعبير<sup>26</sup>.

فالتحليل النحوي يعتمد على أنماطٍ مختلفة؛ لتوضيح العلاقة بين أجزاء العبارة والتركيب من حيث المعنى والإعراب في النص القرآني، ومن هذه الأنماط التي يمكن استخدامها في عملية التحليل هي تحليل العلاقات السياقية بين المفردات مع تتبع لتلك الوحدات، والاعتماد على السياقين اللغوي والمقامي، وما يتضافر معهما من قرائن مقالية ومقامية.

### 3. التعريف بكتاب معاني القرآن ومؤلفه

- **كتاب معاني القرآن:** من كتب الأخفش القيمة التي عرض فيها تفسيره وتحليلاته النحوية والصرفية واللغوية، إذ اهتم بقضايا لغوية شتى، فقد تضمن كتابه مسائل تتعلق بالتفسير القرآني ومعناه، مستنداً على القرائن السياقية في توجيهاته النحوية واللغوية، معتمداً على رؤيته العميقة وتأمله الناقب في سياق الآية، والأسلوب التعبيري الذي يحمله النص القرآني.
- **الأخفش:** هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري، ويُعرف بالأخفش، ويعني صغير العين، ضعيف البصر خلقه، ولقبُ الأخفش غلب عليه؛ لشهرته الواسعة.
- قرأ النحو على سيبويه وكان أسيراً منه، ولم يأخذ عن الخليل، وكان معتزلاً وعالمًا بلغات العرب، وكان ثاقب الذهن حاد الذكاء، فخالف أستاذه سيبويه في كثير من المسائل، وحمل ذلك عنه الكوفيون، ومضوا يتسعون فيه، فتكونت مدرستهم<sup>27</sup>.

### المطلب الثاني: تجليات أثر السياق في التحليل النحوي في كتاب معاني القرآن للأخفش

اعتنى الأخفش بالمعطيات الأساسية للحدث اللغوي والظروف المحيطة به، ولم يتعرض صراحةً للألفاظ السياقية، وإنما استعاض عن لفظ السياق بما يدل عليه أو يشير إليه، كالقارئ المعنوية

<sup>26</sup> قبّارة، التحليل النحوي أصوله وأدلتها، 14-15.

<sup>27</sup> أبو الطيب عبد الواحد اللغوي، مراتب النحويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، د.ت)، 68.

واللفظية الدالة على التوجيه الإعرابي، إلا أنه لا يمنع أن يكون لدينا محاولة بسيطة لتوضيح المرتكزات التي اعتمدها الأخفش في تحليله النحوي للمفردات والجملة القرآنية، وكيف أنه استند على السياقين اللغوي بقرائنه اللفظية والمعنوية وبين موقع الكلمة بين الوحدات الكلامية السابقة واللاحقة، ودورها في إضفاء البعد الدلالي والمعنوي على النص، واستند على السياق المقامي بقرائنه الدالة عليه؛ كالسماع عن العرب، وسبب النزول، وحال المتكلم والمخاطب.

بين الأخفش العناصر اللغوية والمقامية، فذكر أنماط العناصر اللغوية في النص القرآني، وما للعناصر من تلاحم لغوي وعلاقات لفظية فيما بينها، وتبادل بين الألفاظ والمعاني، فكانت الرؤية السياقية حاضرة في ذهن الأخفش وإن لم يستخدمها بصريح العبارة.

### 1. أثر السياق اللغوي في توجيه الإعراب وتحديد العامل

لا يخفى لقارئ أو باحث أن يلمس جهد الأخفش في الدرس النحوي، وتعرضه لكثير من المسائل النحوية وبعض القضايا اللغوية، ك: قضية العامل وغيرها.

فالقضية ترتبط بطبيعة اللغة والكلام، وقد استحدثها النحاة وتتبعوا أثر العلامة الإعرابية في الكلام، فإذا كان العامل قاصراً عن تفسير الظواهر النحوية والعلاقات السياقية جميعها، فإن القرائن تغني عن العوامل، وتسهم في وضوح المعنى؛ وذلك عند النظر في العلاقات بين أجزاء الكلام<sup>28</sup>. والأخفش استعان بالقرائن اللغوية، كالعلامة الإعرابية التي لها الدور في توضيح الإعراب، وإزالة اللبس، إذ يُشكّل بروزها دلالة على معرفة العامل من المعمول.

قال تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاطحة 1/1).

بدأ الأخفش حديثه في سورة الفاتحة عن قضية رافع المبتدأ، مستدلاً بآية أخرى في سياق قرآني لغوي آخر، "فرفعه على الابتداء. وذلك أن كل اسم ابتدأه، لم توقع عليه فعلاً من بعده فهو مرفوع، وخبره إن كان هو هو فهو أيضاً مرفوع، نحو قوله: □ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ □ (الفتح 26/29)، وما أشبه ذلك"<sup>29</sup>.

<sup>28</sup> ينظر، حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 231.

<sup>29</sup> الأخفش، معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1411/1990)، 9/1.

القضية التي تحدث عنها الأخفش تتعلق برافع المبتدأ<sup>30</sup>، ولا شك أن بعض الدارسين تعرضوا لهذه القضية وفصلوا فيها، إلا أننا قد نزيدها تعليقاً بسيطاً من منظور سياقي معتمدين على قرائن لغوية، كالقرينة المعنوية والتي تظهر في العلاقة الإسنادية بين المبتدأ والخبر.

فسياق الآية إخباري، والأخفش يستدل على الابتداء بتجرد الاسم من فعل سابق واقع عليه، فهو يريدنا أن ننظر في التركيب السابق واللاحق للكلمة؛ لتحديد المحكوم عليه، والذي لا بد أن يكون معروفاً لدى السامع، وقد اعتمد على سياق قرآني آخر قد رُفع فيه الاسم في أول الكلام.

ويثبت الأخفش عامل الرفع في الكلمة، وذلك بالنظر إلى الكلمة ذاتها متجردة عن سابقة لها أو لاحقة، فهذه إشارة سياقية قد تثبت المدلول الإعرابي للكلمة في ذاتها، وتفاعلها في التركيب الإسنادي، وهذا ما أراه حاصلاً في المبتدأ "فإنما رُفع ابتداءً إياه، والابتداء هو الذي رفع الخبر في قول بعضهم، كما كانت (أن) تنصب الاسم وترفع الخبر، فكذاك رفع الابتداء الاسم والخبر. وقال بعضهم: رفع المبتدأ خبره. وكلُّ حسن، والأول أقيس<sup>31</sup>، والكلمة المبتدأة ذات المدلول السياقي، أثرت في اللاحقة بعدها، فأضفت على التركيب توجيهاً حسناً هو الأقيس الذي رآه الأخفش، فرجح أن الابتداء هو الذي رفع المبتدأ والخبر، فتشكّلت الرؤية السياقية بأبعادها السابقة واللاحقة، ونظر سيبويه في بنية الكلمة، فهي اسم معرفة لذا تحدد أن تكون مرفوعة على الابتداء، "وإنما استحَبُّوا الرفع فيه، لأنه صار معرفة وهو خبر، فقوي في الابتداء"<sup>32</sup>، واستدل على صحة تحديده للعامل بقرينة لغوية أخرى المتمثلة بقوله تعالى: "محمدٌ رسول الله" واستدل به بسياق لغوي آخر دليل على رفع الحمد، ف: "(الحمد) رُفع على الابتداء، وخبر الابتداء اللام من لفظ الجلالة (الله)، وهذه القراءة هي المأثورة"<sup>33</sup>.

وذكر الأخفش قراءة أخرى، وهي قراءة الجر، معوّلاً على السياق اللغوي الداخلي في تحديد توجيهه، وهو التتابع، معللاً قوله بجواز تتابع حركتي الدال واللام، فصارا بهذا التتابع كالاسم

<sup>30</sup> ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ؛ فهما يترافعان، وذلك نحو "زيد أخوك، وعمر غلامك". وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن المبتدأ يرتفع بالخبر والخبر يرتفع بالمبتدأ لأننا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر، والخبر لا بد له من مبتدأ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه، ولا يتم الكلام إلا بهما. وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا: إن العامل هو الابتداء وإن كان الابتداء هو التعري من العوامل اللفظية، لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات؛ ينظر، سيبويه، الكتاب، 1/ 24؛ وينظر: ابن جني، الخصائص، 1/ 197.

<sup>31</sup> الأخفش، معاني القرآن، 9/ 1.

<sup>32</sup> سيبويه، الكتاب، 1/ 328.

<sup>33</sup> محمد الأزهرى، معاني القراءات، ط1، (مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، 1412 هـ، 1991 م)، 1/ 108.

المتمكن، أن التتابع من السياق اللغوي لا الخارجي المقامي؛ لأن حركة اللام في لفظ الجلالة "الله" أثر على حركة الدال في "الحمد" وهذا سياق لغوي صوتي.

## 2. أثر السياق اللغوي في توجيه الإعراب بحسب قرينة المطابقة

إن الاختلاف في القراءة القرآنية مكنت النحاة من وضع قواعدهم بما يمليه التركيب السياقي، فاستنبطوا من خلال تنوع القراءات القرائن الدالة على توجيه الإعراب وتوضيح المعنى.

فالاختلاف في القراءة ينجم عنه اختلاف في الإعراب، وينبئ عن تعدد في الأوجه المحتملة، ثم تأتي الحركة لتدل على المعنى التي تحمله الكلمة، فإن اختلفت في كلمة واحدة، فسوف تحمل معها هذا الاختلاف، وقد يُحدد الوجه المناسب لتعيين الحركة بحسب المقام الموضوعية فيه.

والاختلاف بين الحركتين في الكلمة يمكن تحديده من خلال معرفة نوع الكلمة، وما يسبقها من سابقٍ مقاليٍّ أو لاحقٍ لها، فالتنوع في الصورة التركيبية يقود إلى بيان الفوارق الدلالية بين اللفظتين، وما نريد عرضه هو بيان الاختلاف بين قراءتين، وما ينتج عنهما من توجيه إعرابيٍّ مكتنفٍ مع قرينة لغوية لفظية وهي المطابقة، فكل صورة تقرأ فيها الكلمة ينتج من خلالها إعرابٌ للاحقة بعدها.

واهتم الأخفش اهتماماً بالغاً بتوجيه الإعراب بحسب القراءة؛ لإيصال الوجه المحتمل منسجماً مع المعنى والتركيب الكلامي، واستند في توجيه الإعراب على قرينة المطابقة في إثراء التوجيه الإعرابيٍّ مراعيًا مطابقة الكلام لمقتضى الحال، والمطابقة اللغوية بينهما.

والمطابقة قرينة لفظية تهدف إلى تقوية الصلة بين المتطابقين؛ لما بينهما من ارتباطٍ في المعنى، وتتوثق الصلة بين أجزاء التركيب التي تتطلبها، وبدونها تتفكك العرى وتصبح الكلمات المتراسة منعزلاً بعضها عن بعض، ويصبح المعنى عسير المنال<sup>34</sup>.

قال تعالى: (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا) (يونس 27/11).

يقول الأخفش: "العين ساكنة؛ لأنه ليس جماعة (القطعة)، ولكنه (قطع) اسم على حياله. وقال عامة الناس: (قطعا) يريدون به جماعة (القطعة)، ويقوي الأول قوله: (مُظْلِمًا)؛ لأن (القطع) واحد، فيكون (المُظْلِم) من صفته.

<sup>34</sup> حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 212-213.

والذين قالوا: (الْقَطْع) يعنون به الجمع، وقالوا (نَجْعَلُ مُظْلِمًا) حالاً لـ (الليل). والأول أبين الوجهين<sup>35</sup>.

تقرأ كلمة (قَطْعًا) بفتح الطاء وإسكانها<sup>36</sup>، ويذهب الأخفش إلى توجيه الإعراب بين الصفة والحال بحسب القراءة وقرينة المطابقة، فالمطابقة قرينة لغوية أساسية من قرائن السياق اللغوي، فعند قراءة القطع<sup>37</sup> بتسكين الطاء، تُحدد ماهيتها بالنظر إلى صفتها (مظلمًا)، فتعرب (مظلمًا) صفة لـ: قطعًا، لدلالة السياق بين اللفظتين، والمطابقة بينهما من حيث الأفراد والإعراب، لأنَّ المعنى: كأنما أغشيت وجوههم سوادًا من الليل، وبقية من الليل، ساعة منه<sup>38</sup>، فيتوجه النَّصب على الصِّفة؛ لدلالة المعنى والمبنى الصرفي للكلمة المفردة (مظلمًا)، فإفراد (قطعًا) على معنى أنها "ساعة من الليل، ودليله قوله: فأسر بأهلك بقطع من اللَّيْلِ، أو أراد الفتح، فأسكن تخفيفًا<sup>39</sup>.

ولكنَّ الأخفش يجعل القراءة بالتسكين هي الأبين عنده. وهو بهذه القراءة يُشير إلى أهمية المطابقة بين التَّابع ومتبوعه، فهو يدرك تلازم العناصر بين المتطابقين؛ لإبراز المعنى المقصود، وقد وافقه الفارسي على أنه الأحسن؛ لأنه على قياس قوله: □ وهذا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ □ (الأنعام 92/7) "وَصِفَ الْكِتَابُ بِالْمُفْرَدِ بَعْدَ مَا وُصِفَ بِالْجُمْلَةِ<sup>40</sup>.

أما بفتح الطاء، فقد عرض الأخفش التَّوجيه بحسب الصِّيغة الصَّرْفِيَّة لكلمة (قطعًا)، فقال: إنَّها جمعٌ، أي جمع تكسير<sup>41</sup>، وقطعًا جمع قطعة، وعليه تُعرب حالًا من الليل، لأنَّ المعنى: كأنما أغشيت وجوههم قطعًا من سواد الليل<sup>42</sup>. وأجاز الرازي هذا الوجه، لأنَّ المعنى: أغشيت وجوههم قطعًا من الليل في حال ظلمته، والذي أشار إلى وجه الحال احتجَّ أنَّ (قطعًا) لا تطابق (مظلمًا) من ناحية الأفراد والجمع، لأنه لم يقل: مظلمة، فالأخفش يعتمد في تحديد الوجه على السياق اللغوي المتمثل بقرينة الصِّيغة، فبنية الكلمة ونوعها تدلُّ على نوعها من حيث التذكير والتأنيث والأفراد والجمع، ليسهم هذا التَّحديد في ترجيح الوجه أو احتمال، يعني أنَّ قطعًا جاءت ملابسة لحال الظلام.

<sup>35</sup> الأخفش، معاني القرآن، 1/ 373.

<sup>36</sup> الحسين بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تح: عبد العال سالم مكرم، ط4، (دار الشروق، بيروت، 1401هـ)، 181.

<sup>37</sup> والقطع: اسم ما قطع. يقال: قطعت الشيء قطعًا، واسم ما قطع فسقط قطع؛ ينظر، ابن منظور، لسان العرب، 8/ 282.

<sup>38</sup> الطبري، جامع البيان، تح: محمود محمد شاكر، (دار التريبة والتراث، مكة المكرمة، دت)، 15/ 76.

<sup>39</sup> ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، 181.

<sup>40</sup> أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، تح: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، تدقيق: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، ط2، (دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، 1413هـ، 1993م)، 4/ 270.

<sup>41</sup> ينظر، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، 181.

<sup>42</sup> الطبري، جامع البيان، 15/ 76.

فصيعة الكلمة هي التي دلت الأخفش على المعنى النحوي، وهي قرينة لفظية أعانته في توجيه الإعراب وتحديد الجانب الوظيفي، إذ هي في معناها الدلالي متضافرة مع قرينة المطابقة التي التزم بها الأخفش في توجيهه للوجه الإعرابي.

ونخلص من هذا التحليل أنّ القرينة اللفظية المتمثلة في الحركة الإعرابية لها دورٌ بالغٌ في توجيه النَّصب بين الوصفية والحالية، وقد تضافرت قرينة المطابقة مع المعنى وسياق الآية وحرصها، فكلّ توجيهٍ يحدد بحسب المعنى بإشراك اللفظ بالقراءتين، لتحديد الإعراب المحتمل والدلالة المستخلصة من الوجهين.

وأرجح التوجيهات هو التوجيه الأول؛ لأنّ قراءة أبي بن كعب تعضده: كأنما يغشى وجوههم قطعٌ من الليل مظلم<sup>43</sup>.

### 3. أثر السياق اللغوي في تقدير المحذوف لدلالة التنعيم

اتكأ معربو القرآن كالأخفش على السياق والقرائن اللغوية لتحديد الحرف المحذوف من الآيات الكريمة، ولعلّ مبرر الحذف يكون بتوافر الأدلة والقرائن الدالة على المحذوف، يقول ابن جني: "وليس شيءٌ من ذلك إلّا عن دليلٍ عليه"<sup>44</sup>، فقد يكون الحذف لأمرٍ يقتضيه المعنى وسياق الآية، فيكون حذفه أولى وأبلغ من ذكره، فيتطلب من القارئ إعمال العقل لاستقراء العلة من الحذف، وتقدير المحذوف المناسب لسياق الآية.

ونظرةً أوليّةً للآية يُظنّ أنّها من الأسلوب الخبري، لكن المتمعن فيها والمقلّب بين وحداتها والقارئ لها بالنغمة الصوتية المناسبة للمعنى، يرى أنّه أمام أسلوب استفهامٍ مقدّرٍ بأداةٍ محذوفةٍ لدلالة المقام وهي (الهمزة).

فالهمزة أمّ الباب في الاستفهام، وتقيد التصوّر وهو إدراك المفرد، ومعرفة المسند إليه أو المسند أو أحدهما، وهذه الهمزة لا يليها إلّا المسؤول عنه، وتذكر بعدها (أم) المعادلة لفظاً أو تقديرًا، ويدل المقام على أنّ في الكلام (أم) محذوفة مقدرة.

هذا التنوع في الأساليب قد يوصل إلى دلالة التركيب، فيتنوع التركيب بين خبرٍ وإنشاءٍ، فنجد أنّ الأداة تتحول إلى أكثر من دلالة واحتمال، ولها أكثر من معنى في التركيب الواحد ضمن سياق الآية اللغوي، وهذه التحولات في البنية التركيبية، وما يعترضها من تلويناتٍ أسلوبيةٍ يفصل بينها

<sup>43</sup> الزمخشري، الكشاف، (دار الكتاب العربي، بيروت، 1407)، 2/ 343.

<sup>44</sup> ابن جني، الخصائص، 2/ 362.



قرائن، كالتنغيم التي تُعدّ المائز الأعمّ بين الخبر والإنشاء في التركيب القرآني، ولكن قد لا يحتاج الأسلوب إلى تمييز؛ لدلالة السياق والقرائن، فهو استفهام في تركيبه، لأنّه كثيرًا ما يحدث في الأساليب حذف وتقدير، وهذا جائز وكثير في القرآن، ويكون مردّد ذلك علم المخاطب بالمقام وسياق الكلام.

ورأى الأخفش أنّ للحذف دواعيًا وأدلةً يقتضيها السياق، ومن الحذف حذف الكلمة أو الجملة أو الحرف، ويتضح المحذوف من ملابسات النصّ والظروف المحيطة به، وقد حرص معربو القرآن على علامات تكون دليلًا على الحذف، كالقرائن السياقية التي تبين ما حذف في التركيب استغناء عن ذكره لأسباب: كالاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر، والتفخيم والإعظام<sup>45</sup>.

**قال تعالى: "وَلَيْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ" (الشعراء 22/19)**

ففي الآية يرى الأخفش أنّ فيها حذفًا بدليل السياق القرآني الذي يستفهم عن النعم التي يمنها المخاطب، والتقدير (أو تلك نعمة)، فالأخفش يستعين في هذا التقدير بالقرينة الصوتية التي تعبر عن فحوى الخطاب القرآني وترشد إلى الدلالة العميقة في الآية، سجد أنّه استعان بقرينة التنغيم التي لم يذكرها صراحةً، وإنّما عبّر عنها بطريقة غير مباشرة، إذ تقوم النعمة بالدلالة على المعنى المقصود، فنعمّة الكلام تكون دليلًا على المحذوف، والذي قدره الأخفش كان بفعل نعمة قوّت الدلالة المحتملة للآية، ولمّح بطرفٍ خفيٍّ من خلال المقام، أي حال المتكلم، فهو يستفهم بأداة استفهام محذوفةٍ ناب عنها حال المتكلم الناطق يقول الأخفش: "هذا استفهام كأنّه قال: "أو تلك نعمة تمنّها"<sup>46</sup>، فتوجّه المعنى وعُرف بقرينة التنغيم أسلوب الاستفهام الذي حدّده السياق، وأومى إليه الأخفش بتقديره لأداة محذوفةٍ وهي (همزة الاستفهام).

واستدلّ الأخفش بقرينة لغوية لاحقة تحدد جواب الاستفهام المقدّر بالنعمة الصوتية، وهي المرادة في تقوية الحكم الاستفهامي، "ثم فسر فقال: (أن عبّدت بني إسرائيل)، وجعله بدلًا من النعمة"<sup>47</sup>، أو عطف بيان، لأنّ هذا التوجيه يُشار به إلى خصلة شنعاء مبهمّة، و(أن عبّدت) عطف بيانها، والمعنى: تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنّها علي، وإنّما وحّد الخطاب في (تمنّها)، وجمع فيما قبله، لأنّ المنّة كانت منه وحده، والخوف والفرار منه ومن ملئه<sup>48</sup>، فالحذف كان لدلالة المعنى من السياق اللاحق المفسر لما قبله.

<sup>45</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 3/ 105.

<sup>46</sup> الأخفش، معاني القرآن، 2/ 461.

<sup>47</sup> الأخفش، معاني القرآن، 2/ 461.

<sup>48</sup> البيضاوي، أنوار التنزيل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418)، 4/ 136.



واستقبح الأنباري أن تُحذف الهمزة من دون دليلٍ لفظيٍّ يذكر بعدها، وهي (أم) التي تأتي بعدها، وتدل عليها، يقول: "وهذا قبيح، لأن الاستفهام لا يكاد يضمّر إذا لم يأت بعده (أم)"<sup>49</sup>.

فالأداة قرينةٌ معنويةٌ تتضافر مع سياق الحال، وتحذف في اللفظ وتبقى دلالتها في المعنى، "وكثيراً ما تحذف همزة الاستفهام من اللفظ، وهي ثابتة في المعنى"<sup>50</sup>.

فالآية اللاحقة بقرينة التبعية وهي (البدل)، توضّح القصد الذي من أجله استفهم عن تلك النعمة، وبالتالي أثّرت في ترجيح البدل وإزالة الإبهام عن النعم التي كان فيها، فالقارئ تتضافر مع سياق الموقف الذي فيه سيدنا موسى وفرعون؛ لتحقيق معنى التركيب في الآية، وعليه يُعرب المصدر المؤول اللاحق (أن عبدي) بدلاً من النعمة، مبيّناً لها، وتقديره: تعبديك بني إسرائيل<sup>51</sup>، فالمصدر المؤول في السياق اللغوي تضمّن معنًى أسهم في إثراء السياق وتوجيه المعنى، ففرعون لم يستعبده كما استعبدهم<sup>52</sup>.

فاستحضار حكاية الماضي قرينةٌ مقاميةٌ، يجيب عليها المتكلم بنغمة استفهاميةٍ تقيد الإنكار، فيكون المعنى "إنك لو كنت لا تقتل أبناء بني إسرائيل، لكنت أُمي مستغنيةً عن قذفي في اليم، فكيف تمنّ عليّ بما كان بلاؤك سبباً له"<sup>53</sup>، فالنغمة الصوتية عند الأخفش أوحّت بالإنكار التي حملتها الأداة المحذوفة، ليستقر المعنى بما يناسب سياق الآية.

#### 4. أثر السياق اللغوي في تحديد مرجعية الضمير

وضع العلماء ضوابط وقوانين تساعد في تحديد مرجعية الضمير، مستعينين بقرائن لغوية وأدلةً مقاميةً ومقاليةً؛ يُزال اللبس بها ويتضح المعنى فيها، إذ يعين في الربط بين أجزاء الكلام وعناصر النص السياقي، فالضمير له وظيفته الأساسية، ألا وهي الربط بين أجزاء الجملة، فالربط هو اصطناعٌ علاقةٍ سياقيةٍ نحويةٍ بين طرفين، باستعمال أداةٍ تدلّ على تلك العلاقة<sup>54</sup>، والعلاقة تكون بين جملتين أو كلمتين بالضمير، أو الأداة التي تجعل الجملة مترابطةً منسجمةً فيما بينها، فوجود

<sup>49</sup> ابن الأنباري، *إيضاح الوقف والابتداء*، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، (مجمع اللغة العربية بدمشق، 1390 / 1971)، 813 / 2.

<sup>50</sup> أبو الحسن الواحدي، *التفسير البسيط*، تح: أصل تحقيقه رسالة دكتوراه، ط1، (عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430)، 9 / 275.

<sup>51</sup> الواحدي، *التفسير البسيط*، 17 / 42.

<sup>52</sup> نجم الدين النيسابوري، *إيجاز البيان عن معاني القرآن*، تح: حنيف بن حسن القاسمي، ط1، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1415)، 2 / 621؛ وينظر، جمال الدين ابن مالك، *شرح التسهيل*، تح: عبد الرحمن السيد، محمد بدوي المختون، ط1، (هجر للطباعة والنشر والتوزيع، 1410 هـ، 1990 م)، 3 / 379.

<sup>53</sup> الواحدي، *التفسير البسيط*، 17 / 41.

<sup>54</sup> مصطفى حميدة، *نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية*، (مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، د.ت)، 143.

الضمير يشير إلى تعلق الجملة الثانية بصاحب الضمير، ولولا وجود الضمير لنشأ لبسٌ في فهم الانفصال بين الجملتين<sup>55</sup>.

فالربط قرينةً لفظيةً توحد أجزاء الكلام، ويتحدد مرجعها تبعاً لسياق النص الذي توجد فيه، فالضمير يستدعي مرجعاً يعود إليه ويتحقق به الترابط والمعنى الكلي في النص.

والضمير يعود على متقدم لفظاً ورتبةً، أو على متأخر، فإذا تقدّم ما يصلح للتفسير شيئان فصاعداً، فالمفسر هو الأقرب لا غير، ويجوز مع القرينة أن يكون للأبعد.

فإذا اجتمع ضميرٌ عائدٌ مع مرجعٍ أو مرجعين مختلفين فيهما، فإنه يمكن أن يعود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو الأصل<sup>56</sup>، ويكون الضمير العائد ضمير غائب، ويعود إلى الأقرب بدليل، يقول ابن مالك: "الأصل تقديم مفسر ضمير الغائب، ولا يكون غير الأقرب إلا بدليل، وهو إما مصرح بلفظه، أو مستغنى عنه بحضور مدلوله حساً أو علماً، أو بذكر ما هو له جزء أو كل أو نظير، أو صاحب بوجه ما"<sup>57</sup>.

ويمكن بهذا الكلام أن يعود الضمير إلى أقرب المذكورين، أو إلى كليهما بحسب القرينة في السياق النصي للآية، فيتحد المرجع ويعاد إلى شيء واحد، أو شيئين ما دام الأمر محتملاً الوجهين ولا حجة تظهر أي الأقوال أرجح.

**قال تعالى: (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (البقرة 45/1).**

ذهب الأخفش إلى أن الضمير إذا كان عائداً إلى متعاطفين بالواو، فإن الضمير يعود عليهما جميعاً وهذا كلامه، منه ما يُحمل على الأول ومنه ما يُحمل على الآخر. ويرجح الأخفش قوله بسياق قرآني لغوي آخر في آية أخرى، وهي قوله تعالى: □ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ □ (التوبة 62/10)، فهذا يجوز على الأول والآخر، وأقيس هذا إذا ما كان بالواو أن يحمل عليهما جميعاً. تقول: (زيد وعمر و زاهبان). وليس هذا مثل (أو)، لأنّ (أو) إنما يخبر فيه عن أحد الشئيين<sup>58</sup>.

تتحدد المرجعية عند الأخفش بالنظر في السياق السابق، لتحديد مرجعية الضمير فيقرر عودته على العبادة المتضمن لفظ الصلاة والصبر، وعبر عن ذلك بتضمن المتعاطفين معنى العبادة، لكنّ معربو القرآن اختلفوا في مرجعية الضمير في اسم (إنّ) وفي توجيههم أقوال: منها أن الضمير

<sup>55</sup> حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، 153.

<sup>56</sup> الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 4 / 39.

<sup>57</sup> ابن مالك، شرح التسهيل، 1 / 156.

<sup>58</sup> الأخفش، معاني القرآن، 1 / 87.

عائذٌ على الصلاة أو على العبادة، وقيل: عائذٌ على الاستعانة، وأجاز الزمخشري ما ذهب إليه الأخفش بأن يعود على ما سبق جميعاً؛ أي أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: (اذكروا نعمتي) إلى (واستعينوا). لكبرية لشاقة ثقيلة من قولك: كبر على هذا الأمر، (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه)<sup>59</sup>، ويبدو أثر القرينة المقامية في تحديد مرجع الضمير ظاهرة عند الأخفش وتبعه في ذلك الزمخشري؛ فالخطاب خطابٌ أمرٌ بالاستعانة بالصلاة والصبر، لأنهما ثقيلتان على غير الخاشعين.

وذهب ابن عطية إلى عدة تأويلات في مرجعية الضمير<sup>60</sup>:

1. أن الضمير يعود على الصلاة.
  2. أن الضمير يعود على الاستعانة التي يقتضيها قوله: "واستعينوا".
  3. أن الضمير يعود على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ذكر الصبر والصلاة.
  4. أن الضمير يعود على إجابة محمد صلى الله عليه وسلم.
  5. أن الضمير يعود على الكعبة، لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها.
- ويرجح ابن خالويه أن يعود الضمير على الأقرب<sup>61</sup>، أي على الصلاة، وما تنص عليه القاعدة في اللغة أن ضمير الغائب لا يعود على الأقرب إلا بدليل، فإن لم يرد خلاف في عودة الضمير، لأنه عائذٌ على المتعاطفين، فلا حرج أن يعود بحسب القاعدة على أقرب مذكور، وهي الصلاة؛ لأنها الأقرب جرياً على مقتضى الظاهر، وكف عن خبر الأول لعلم المخاطب بأن الأول داخل ضمناً فيما دخل فيه الآخر، وهو مطرد في كلامهم<sup>62</sup>.

ولعل ما ذهب إليه الأخفش يوافق قاعدة المطابقة بين الضمير ومرجعه، فالضمير مؤنث عائذٌ على مؤنث قبله مشتق من معنى المتعاطفين وهي العبادة، وهو وجه صائب والله أعلم، لأن الشيتين إذا عطف أحدهما على الآخر ومعناهما واحد فاردد الخبر إليهما أو إلى أحدهما، أيهما شئت فإن الآخر داخل معه<sup>63</sup>.

<sup>59</sup> الزمخشري، الكشاف، 1/ 134.

<sup>60</sup> ابن عطية، المحرر الوجيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1422)، 1/ 137.

<sup>61</sup> الحسين بن خالويه، ليس في كلام العرب، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، (مكة المكرمة، 1979/1399)، 343.

<sup>62</sup> محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، ط4، (دار الإرشاد للشؤون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1415هـ)، 1/ 96.

<sup>63</sup> الواحدي، التفسير البسيط، 21/ 461.

فالسِّيَاق بنوعيه كان له أثره الواضح في تحديد مرجعية الضمير بما يتفق مع القاعدة والسياق اللغوي.

والراجع أن يعود الضمير على الصلاة، لأنَّ المقام يقتضيه وقد رجَّحه السامرائي في كتابه مستعيناً بما ذكر في سياق قرآني آخر، وذلك لأنَّ الكلام على الصلاة، فقد تقدّم ذكر الصلاة بالمطالبة بها قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة 43/1)،<sup>64</sup>

ونرى أنَّ الضمير يعود على لفظٍ سابقٍ تطابق مع المُحال إليه إفراداً وتأنياً، وقد أسهم ضمير الغائب بشكل فعّال في انساق الخطاب القرآني، فضمائر الغيبة يقوم بوظيفتين هما: استحضار عنصرٍ متقدّم في خطابٍ سابقٍ، أو استحضار مجموع خطابٍ سابقٍ في خطابٍ لاحقٍ<sup>65</sup>، وما وجهه الأخفش يعود على ما يوجبه السِّيَاق والمعنى المؤكّد لأهمية المرجع ودوره في النصّ والتّماسك والتّرابط بين أجزائه، وأهميّة الرابط وإثبات المرجعية المكتنفة معه لتشكيل الدّلالة النّصية.

## الخاتمة

تناولنا في بحثنا أثر السياق اللغوي في التحليل النحوي عند الأخفش، وما للقارئ من دور في الكشف عن التوجيه الإعرابي.

وقامت خطتنا على نقاطٍ أساسية، بدأت بالمقدمة، ثم انتقلنا إلى مقدماتٍ نظرية وتعريفات، ثم شرعنا في دراسة تجليات أثر السِّيَاق في التّحليل النّحوي في كتب معاني القرآن للأخفش، وتوصلت بعد ذلك إلى أبرز النتائج التي خلص إليها البحث، وهي:

1. السِّيَاق اللغوي تتفرع منه قرائن تكون بمثابة أدلةٍ سياقيةٍ لترجيح الوجه الإعرابي، كالعلامة الإعرابية والمطابقة والربط والنّغمة وغيرها.

2. كل آية تحتل قرائن يوظفها المحلل بما يسهم في الترجيح الإعرابي والمعنى المنسجم مع سياق الآية، إذ تحتل المفردة أو الجملة إعرابات تقويها قرينة لغوية أو مقامية أو كلاهما معاً.

3. راعى الأخفش في تحليلاته النحوية المعطيات اللغوية، وعكس أثر تلك المعطيات من خلال التّرجيحات التي تحدّد الإعراب والمعنى الصحيح.

<sup>64</sup> فاضل السامرائي، معاني النحو، ط1، (دار الفكر، الأردن، 1420، 2000م)، 1/ 63.

<sup>65</sup> محمد خطابي، لسانيات النص، ط1، (المركز الثقافي العربي، 1991م)، 175.

4. لم يذكر الأخفش السياق صراحة، وإنما كان السياق بقرائنه حاضراً في تحليله التحوي وتوجيه الإعراب.
5. كل تحليل نحوي لا يكاد يخلو من قرائن سياقية تفتح أفق التنوع الإعرابي وتعزيز التوجيه المناسب تبعاً لذلك التنوع.

## References

Al-Qur'an al-Karim.

Abdul Jalil, Abdul Qadir, Al-Aslubiyah wa Thulathiya al-Du'air al-Balaghiyyah, 1st ed., (Dar Safa, 'Amman, 1439/2018).

Abu 'Ali al-Farsi, al-Hasan bin Ahmad bin 'Abd al-Ghaffar, Al-Hujjah lil-Qurra' al-Sab'ah, ed. by Badr al-Din Qahwaji, Bashir Juwayjibi, revised by 'Abd al-'Aziz Rabah, Ahmad Yusuf al-Daqqaq, (Dar al-Ma'mun lil-Turath, Damascus, Beirut, 1413/1993).

Abu al-Tayyib al-Lughawi, 'Abd al-Wahid bin 'Ali al-Lughawi al-Jalli, Maratib al-Nahwiyyin, ed. by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, (Maktabat Nahdat Misr wa Matba'atiha, al-Fajjalah, Cairo, D.T).

Abu Bakr al-Anbari, Muhammad bin al-Qasim bin Muhammad bin Bishar, I'adhat al-Waqf wal-Ibtida', ed. by Muhyi al-Din 'Abd al-Rahman Ramadan, (Majma' al-Lughah al-'Arabiyyah bi Dimashq, 1390/1971).

Abu Bakr al-Razi, Zayn al-Din Abu 'Abd Allah Muhammad bin Abi Bakr bin 'Abd al-Qadir al-Hanafi, Muktasar al-Sahah, ed. by Yusuf al-Shaykh Muhammad, (Al-Maktabah al-'Asriyyah, al-Dar al-Namudhajiyyah, Beirut, Said, 1420/1999).

Abu Ja'far al-Tabari, Muhammad bin Jarir, Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayy al-Qur'an, ed. by Mahmud Muhammad Shaker, (Dar al-Tarbiyah wal-Turath, Makkah al-Mukarramah D.T).

- Abu Sa'id al-Sirafi, al-Hasan bin 'Abdullah, Akhbar al-Nahwiyyin al-Basriyyin, ed. by Muhammad Ibrahim al-Banna, (Dar al-I'tisam, 1405/1985).
- Al-Adwani, Khalid, Dirasat fi al-Nahw wal-Dalalah, taharr: Islam Rashid Jankir, (Sun Yag Academy, Ankara, 2021).
- Al-Akhfash, Abu al-Hasan, Sa'id bin Mas'adah al-Mujashi'i, Al-Akhfash al-Awsat, Ma'ani al-Qur'an, ed. by Huda Mahmoud Qara'ah, (Maktabat al-Khanji, Cairo, 1411/1990).
- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmad, Ma'ani al-Qira'at, (Markaz al-Buhuth fi Kuliyat al-Adab, Jami'at al-Malik Saud, 1412/1991).
- Al-Baydawi, Nasser al-Din Abu Sa'id 'Abdullah bin 'Umar bin Muhammad al-Shirazi, Anwar al-Tanzil wa Asrar al-Ta'wil, ed. by Muhammad 'Abd al-Rahman al-Mur'ashli, (Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi, Beirut, 1418).
- Al-Iqtash, 'Abd al-Hamid, "Al-Isnad fi Lughat Akaluni al-Baraghith: Tahleel Bunawi wa Muqarabah fi al-Marahil al-Zamaniyyah lil-Isnad al-Fa'ali", Majallat Abhath al-Yarmouk, 1995, vol. 153, no. 2, (published research, Yarmouk University, Irbid, Jordan, "Silaslat al-Adab wal-Lughawiyat").
- Al-Naysaburi, Mahmud bin Abi al-Hasan bin al-Husayn, Ijaz al-Bayan 'an Ma'ani al-Qur'an, ed. by Hanif ibn Hasan al-Qasimi, (Dar al-Gharb al-Islami, Beirut, 1415).
- Al-Samara'i, Fadil Salih, Ma'ani al-Nahw, vol. 1, (Dar al-Fikr, Jordan, 1420/2000).
- Al-Shafi'i, Muhammad bin Idris, Al-Risalah, ed. by Ahmad Muhammad Shakir, (Mustafa al-Babi al-Halabi wa Awladuh, Misr, 1357/1938).
- Al-Talhi, Radat Allah bin Radat bin Dhiyaf Allah, Dalalat al-Siyah, (Origin of the book: Ph.D. thesis, Umm al-Qura University, Maktabat Malak Fahd al-Wataniyah, 1424).
- Al-Wahidi, 'Ali bin Ahmad bin Muhammad bin 'Ali, Al-Tafsir al-Basit, ed. (originally a Ph.D. thesis), (Imadat al-Buhuth al-'Ilmiyyah, Jamiat al-Imam Muhammad bin Saud al-Islamiyyah, 1430).

Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud bin 'Amr bin Ahmad, Jar Allah, Al-Kashaf 'an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil, (Dar al-Kitab al-'Arabi, Beirut, 1407).

Al-Zarkashi, Abu 'Abdullah Badr al-Din Muhammad bin 'Abdullah bin Bahadir, Al-Burhan fi 'Uloom al-Qur'an, ed. by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, (Dar Ihya' al-Kutub al-'Arabiyyah, 'Isa al-Babi al-Halabi wa Shurakaih, 1376/1957).

Bakr, Muhammad Salah al-Din, "Nazrah fi Qarina al-I'rab fi al-Dirasat al-Nahwiyyah al-Qadimah wal-Hadithah", (Huliyat Kulliyat al-Adab, al-Huliyah al-Khamisah, al-Risalah, al-'Ishrun, 1404/1984).

Druwish, Muhi al-Din bin Ahmad Mustafa, I'rab al-Qur'an wa Bayanuh, (Dar al-Irshad lil-Shu'un al-Jami'iyah, Hims, Suriya, Dar al-Yamama, Dimashq, Beirut, Dar Ibn Kathir, Dimashq, Beirut, 1415).

Hamida, Mustafa, Asalib al-'Atf fi al-Qur'an al-Karim, (Maktabat Lubnan, Nashirun, al-Sharikah al-Misriyyah al-'Alamiyyah lil-Nashr, Lujman, Dar Nubar, al-Qahira, 1999).

Hamida, Mustafa, Nizam al-Irtibat wal-Rabb fi Tarkib al-Jumla al-'Arabiyyah, (Maktabat Lubnan, Nashirun, al-Sharikah al-Misriyyah al-'Alamiyyah lil-Nashr, Lujman, D.T).

Hassan, Tamam, Al-Bayan fi Ruwa' al-Qur'an, vol. 1 (Alam al-Kutub, Cairo, 1413/1993).

Hassan, Tamam, Al-Lughah al-'Arabiyyah Ma'naha wa Mabnaha, (Alam al-Kutub, 1427/2006).

Ibn 'Atiyyah, 'Abd al-Haqq bin Ghalib bin 'Atiyyah al-Andalusi Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-'Aziz, ed. by 'Abd al-Salam 'Abd al-Shafi Muhammad, (Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1422).

Ibn Fares, Ahmad, Mu'jam Muqayyis al-Lughah, ed. by 'Abd al-Salam Harun, (Dar al-Fikr, 1399/1979).

Ibn Jinni, Uthman bin Jinni al-Mawsili, Al-Khasa'is, (Al-Hay'ah al-Misriyyah al-'Amah lil-Kitab, D.T).

Ibn Khalawayh, Al-Husayn bin Ahmad, Al-Hujjah fi al-Qira'at al-Sab'ah, ed. by 'Abd al-'Al Salim Makram, (Dar al-Shorouk, Beirut, 1401).

Ibn Khalawayh, Al-Husayn bin Ahmad, Laysa fi Kalam al-'Arab, ed. by Ahmad 'Abd al-Ghafur 'Atar, (Makkah al-Mukarramah, 1399/1979).

Ibn Manzur, Muhammad bin Makram bin 'Ali Abu al-Fadl, Jamal al-Din, Lisan al-'Arab, (Dar Sader, Beirut, 1414).

Khattabi, Muhammad, Lisaneyat al-Nass (Madkhal ila Anisjam al-Khitab), (al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi, 1991).

Qabawa, Fakhruddin, al-Tahlil al-Nahwi Usuluh wa Adillatuh, (Al-Sharikah al-Misriyyah al-'Alamiyyah lil-Nashr, Lujman, al-Qahira, D.T).

Qudur, Ahmad, Mabadi' al-Lisaniyyat al-'Amah, (Dar al-Fikr, Dimashq, 1429/2008).

Sibawayh, 'Amr bin 'Uthman bin Qanbar al-Harithi al-Walla', Abu Bishr, Al-Kitab, ed. by 'Abd al-Salam Harun, (Maktabat al-Khanji, al-Qahira, 1408/1988).